ندوة الشهر

# قضايا الأدب السوداني

أعدها : حسب الله الحاج يوسف

لا نستطيع في هذه المقدمة ، ان نتعدى حدود الاشارة العابرة ، التي نؤكد فيها وحسب ، ان في السودان حالة من الانزواء تظلل الادباء ، وتدفعهم الى ايثار الصمت ، والركود ، وهي حالة ليست مصطنعة ، وليست من قبيل المصادفة ، وانما هي نتيجة حتمية لظروف حقيقية ، تكشف حياتنا العامة ، وتقيدها بعض الشيء ، وان كانت لا تحدها عن مواصلة السير .. ولو ببطء .. ومثابرة

ان الادب ولا شك انعكاس معنوي لحياة المجتمع المادية ، وبقدر صدقه في تصوير الواقع ، وتفسيره ، وبقدر اسهامه في كشف الاحوال المعاشة ، وتطوير ظروف المجتمع ، يأخذ هذا الادب صفته الايجابية ، او السلبية ، ويأخذ بالتالي قيمته في التاريخ ، او يفقد هذه القيمة . يأخذ اهميته من ارتباطه بالناس ، او انفصاله عنهم .. ذلك لان من ابسط مهام الادب في ميدان القيم الانسانية ، صقل وجدان الامة وانشاء تاريخها المعاصر ..

تلك النظرة ، القيها بقصد التبرير والاستغفار لادباء السودان .. لتقصيرهم .. لانزوائيتهم .. لانكماشهم ، لانهم بموقفهم هذا يشاركون في أن تظل هذه الحالة باقية !

انها نظرة تدين نمطا من الادباء ، وتدمغهم بالزيف ، والخداع .. وكذلك بالسلبية ، عند نقطة مزدوجة ، يبدأ طرفها الايمن مع بداية التلوين الاجتماعي الاول للسودان المعاصر ، ويبدأ طرفها الثاني مع نهاية النصف الاول من القرن العشرين .. وبتعبير أصح .. أن هذه الفئة الموما اليها تكشف بموقفها هذا عن حقيقة تدعو الى الاسف المؤلم، ذلك لان وعيها الثقافي ما زال في اغلال المحسنات اللفظية ، والقوالب الكلاسيكية ، والاستعارات الزائفة ، والتشبيهات المكرورة ، البعيدة كل البعد عن واقع الثقافة الانسانية المعاصرة .

ومن هنا .. وبعيدا عن التهريج ، شرعنا في اقامة ندوة ، ثقافية مفتوحة ، التام فيها لفيف من ادباء الجيل الجديد في السودان ، وهم حزمة من الشبان الذين ينتمون الى مدرسة الرؤيا المعاصرة ، ويرتكزون اساسا على تراث الامة العربية الفني بالرجولة والاصالة .. التقينا بهم في هذه الندوة ، وقلنا لهم : ان الثقافة السودانية متهمة .. ولكن ما نوعية هذا الاتهام .. هل بالاقليمية ، أم بالتخلف .. ام بعدم الامكانات؟

وقلنا لهم : باعتباركم صوتا ادبيا جديدا .. فما هي مميزات هذا الصوت اذا ما قورن بغيره من الاصوات ؟

ثالثا : ان بعض المجلات الادبية قد درجت على ابراز اطارات ادبية معينة من الادباء السودانيين .. فهل عند هذه الاطر تتوقف وحسب ديناميكية الادب السوداني ؟

رابعا : هنالك حركة جديدة في مجال كل من : الرواية .. القصوصة .. المسرحية .. هل من الممكن ان تحددوا لنا طبيعة هذه الحركة وسماتها ؟

تلك هي صورة الاسئلة التي طرحناها في الندوة ، وفيما يلي نقدم حصيلة افكارهم :

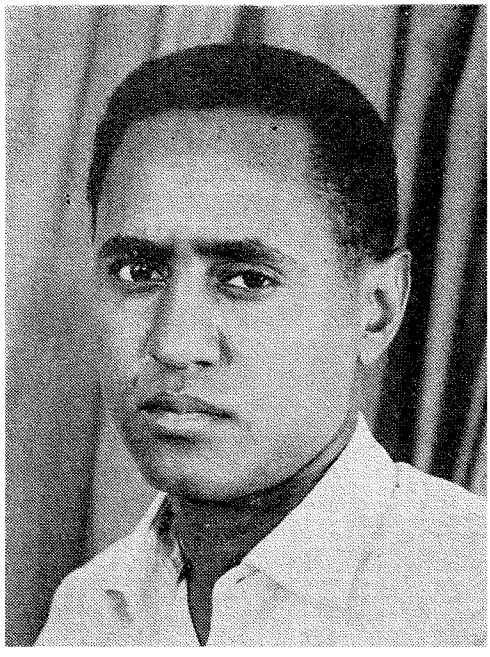

صديق محيسي

## صديق محيسي

● اولا : الاقرار بوجود ثقافة سودانية ، هو الاقرار بوجود فكر انساني ، كوني ، وما دام ذلك شيئا بديهيا ، فان الثقافة السودانية هي جزء من حركة المعرفة الانسانية .. اما الاتهام بالاقليمية فهذا امر قائم لا يحتاج الى دفع ، ذلك ان نشوء الثقافة السودانية تاريخيا حمل عوامل احباط شتى .. جعلت من تأثيراته ، امرا محليا للغاية.. وعوامل الاحباط تلك انحصرت في قصر اليد الرامية ، اذ ان كل المحاولات الفاعلة في كل مراحل فكرنا لم تتجاوز حدودنا الجغرافية ، الا من النزر القليل الذي استطاع التسرب الى مصر ، الشيء الذي أعطى ملامح باهتة عن الصورة ، حيث تركزت هذه الصورة في نماذج رومانسية برزت بظهور التجاني يوسف بشير ، ومعاوية نور ، وصف قصير من وجوه تلك المرحلة . بيد ان مصر ايضا بما كانت تقذف من اصطراعات ادبية ساخنة ، وجدت ردات أفعال قوية في اوساط تلك المرحلة ساعدت كثيرا في تحديد مسار الحركة الفكرية السودانية .. ولتحديد ذلك ، فان ظروف النضال القومي الذي كانت تقوده البرجوازية الوطنية بممارستها المتذبذبة مع الحكم البريطاني المتعسف قد جعلت من الصيغ الادبية المعطاة ، اما صيغا مغلقة بمناسبات دينية غاية في التجريد ، واما محتمية بمناسبات اخرى « كيوم التعليم » وأيام اخرى ناتجة عن ظروف تلك المرحلة ، مما اعتقل في النهاية اتجاهات الفكر السوداني

ونشاطاته الطبيعية ، حتى تمخض النضال القومي عن استقلال السودان لتبدأ مرحلة يمكن ان نطلق عليها مرحلة التفكير في التخلص والتحرير الاقتصادي .

فمن هذه المهام الاجتماعية الكبرى التي طرحتها مرحلة ما بعد الاستقلال في الدوائر الادبية ، كانت مهمة الاتيان بصيغ جديدة تعبر عن هذه المرحلة ، باعتبار انها منعطف حاد ، ويحتاج الى قدرة فائقة في تحديد صورة الفكر السوداني ، فكانت الرياح الآتية من قلب الاربعينات ومن مصر بالذات ، ان حملت بين ما حملت « الواقعية الاشتراكية » ليظهر من الخارج الى الداخل كل من : جيلى عبد الرحمن .. تاج السر الحسن .. محي الدين فارس والفيتوري ، بالاضافة الى ما كانت تقدمه ( دار الفكر ) بقيادة كمال حليم ، وحسن فؤاد ، وحسن الطاهر زروق ، حيث زادت الفرجة اتساعا ، ولاول مرة ضمن ما ترتبت عليه الحرب الكونية الثانية من نتائج أثرت كثيرا في الضمير الانساني .. يحدث كل ذلك ، والسؤال لا يزال قائما بوجود فكر سوداني أم لا .. يحدث ايضا كل ذلك والاجابة قائمة لتقول « نعم » ... ولكن الاقليمية تنسحب شيئا فشيئا ..

اذن فالتخلف المطلق رهين بزوال ظروفه !.

● اما عدم الامكانات ، فهو ما يمكن ان يعالج من قبل الحكومات التي تعاقبت على حكم شعبنا ، فلو ان العقلية البرجوازية التي تسلطت على كل شيء أقدمت على فك حصارها على مناطق التعدين الفكري عندنا ، لكان صوت السودان الادبي منذ أمد بعيد قد أحدث ما احدثته الاداب الاخرى من تاثيرات .. غير ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث ، فهناك اصوات جديدة ، ومحاولات مبدعة ، لو وجدت لها طريقا لبرهنت بتاكيد على ان في السودان زرعا مملوءا بالاخصاب يمكن اكله .. فالسودان لا يزال يعاني من أزمات النشر ، والتفكير في طباعة كتاب اشبه بالتفكير في اختراق الكرة الارضية بسفودسكي ، من هنا يكتفي الادباء عندنا بالنشر في الصحف المحلية فقط، مما لا يتيح ان تقرا هذه الصحف في الخارج ، ولان الصحف نفسها مصابة بداء الاقليمية ..

المسالة اذن في تصوري تحتاج الى مساعدة ، وخصوصا من دور النشر في بيروت ، حيث يمكن ان تلعب دورا هاما .

● اما عن المجلات الادبية في الوطن العربي ، فمعها الحق في ان تفعل ذلك ، وخصوصا مجلة « الاداب » التي تقدم منذ نشوئها ما يمكن ان يضيف شيئا ملموسا في حركة الفكر العربي ، فنشرها لانتاج عدد من الشعراء السودانيين ربما يكون قد اعطى فكرة اجمالية عن الحركة الادبية في السودان ، خصوصا في الدراسات القيمة التي قدمها الشاعر محمد المكي ابراهيم ، ومن قبله اشعار كل من صلاح احمد ابراهيم،وعبدالعزيز صفوت،ومصطفى سند ، وعبدالرحمن عبدالله .. بلا شك ان ما قدمته مجلة « الاداب » لا يعتبر صورة متكاملة لما يدور عندنا ، وان كان شيئا خاصا يعبر عن وجدانيات اصحابه ، فهي ـ اي هذه الاعمال ـ وان لم تكن هي المعطيات النهائية لديناميكية الحركة الادبية عندنا ، فهي على الاقل في حالة تصالح وتفهم واعيين لما يظهر من محاولات جديدة .. اي انها ثقافيا تقف مع جيلنا ضد مدارس المناسبات والتشريفات الادبية ، لذلك فان ما ينشر من اسماء معينة بين الحين والاخر ، لا يعتبر بحال اخر صيغة تمخضت عنها العقلية الادبية عندنا .

● باعتبارى احد الاصوات الجديدة في مجال الاطلاع ، او في مجال الانتاج ، اقرر من البداية ، ان هناك بونا شاسعا بيننا وبين المدرسة التقليدية التى لا زالت تهيمن على كل شيء وذلك بمساعدة الرسميين .. ان الخلاف والاختلاف بيننا هو في الدرجة الاولى مسالة ( رؤيا ) .. اننا نحاول تفسير الخارطة الادبية ، وهم يحاولون الابقاء عليها .. اننا نحاول غزو المناطق الريفية في الوجدان السوداني ، وهم يحاولون تركها كما كانت .. بل يمضون اكثر للتوسع من مساحاتها ،

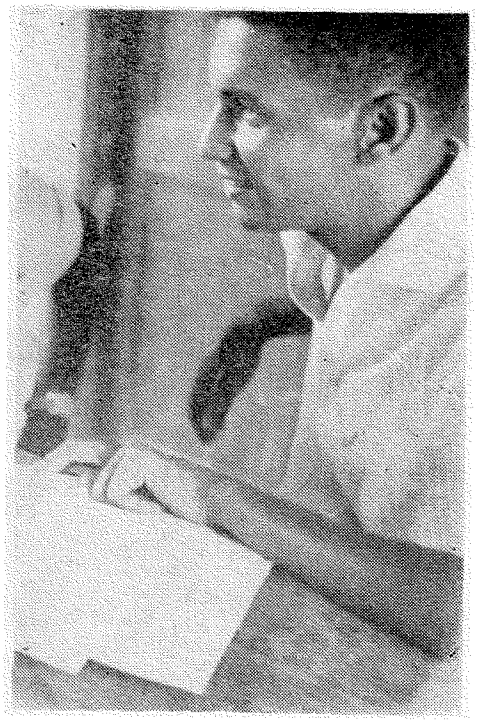

عيسى الحلو

□★□

واذا تحدثنا عن قضية الرؤيا ، فان ذلك يقودنا جدليا الى قضية الصراع .. الصراع بين ما هو متحرك ، وبين ما هو جامد .. ومن صلب هذه الاصداء تخرج المواقف ، الاصوات الجديدة تحاول فتح كل النوافذ وذلك بممارسات قائمة على اخر ما انتجته المكتبة العالمية ، حيث ترى ان التغيير يجب ان يمر من خلال رؤية حضارية للاشياء ، رؤية متحررة من الموروثات بوصفها اوعية ، اذ بهذا وحده في اعتقادي نصل الى ادب انساني نظيف .. ان التعامل مع العالم بالرقي والتمائم لا يعطي الا عالما اكثر سلفية ، واكثر ركاكة .

● اذا كانت حركة الادب المضاد ، قد احدثت تحولا عميقا في البنى الفنية للرواية ، والشعر ، والاقصوصة ، والمسرحية ، واحتلت بانتصارها الفكري السريع اراضي شاسعة ، فان الفكر السوداني بوصفه جزءا من الذي يجري ، قد تاثر ايما تاثير بذلك .. ولا يعني هذا اننا تحولنا الى « كورس » يردد ما يقال عالميا ، ولكن اصواتنا الخاصة كسودانيين عرب استطاعت ان تستوعب وتهضم ، بحذر ثقافي شديد ، اخر ما وصل اليه التكنيك الفني في العالم ، ما عدا قلة قليلة تحسب ان الثقافة تاثر اكثر من ان تكون استيعابا وفرزا ، كما ان تقرير امر من هذا القبيل لا بد وان يخضع لظروفنا الموضوعية باخلاقياتها ، لان ما يكتبه مثلا عيسى الحلو ، وعثمان الحوري ، وعبد العزيز صفوت ، ومحجوب الشعراني ، ومحمود محمد مدني ، وعبدالله جلاب ، وغيرهم من الكثيرين في مجال الرواية ، والقصة القصيرة ، والشعر ، والمسرحية ، لا يمكن الا ان يكون سودانيا خالصا ، اي انه ايضا تعبير شمولي يمكن ان يصلح لكل العالم .

اذن فان طبيعة الحركة الجديدة في السودان على جميع الاصعدة ما هي الا طبيعة ذات حدين .. الحد الاول انها تحاول كسر رتاج التقليدية الجامدة ، والحد الثاني انها تحاول ان تمد عنقها للخارج ، هذا في النهاية راى معلب ومضغوط للغاية .

**عيسى الحلو**

● اصول الفكر السوداني عميقة ومتاصلة منذ دولة مروى . اتصلت جذوره فيما بعد بالفكر الاسلامي فازداد ثراء ، كما كانت ملامسات الجوار في القارة تلقح بذور هذا الفكر .. لكل هذا اصطخب

عبدالله جلاب

□✱□

الفكر وتمازج واصبح السودان باعتبار جغرافيته جسرا لعبور الفكر في الاتجاهين . فكيف يمكن ان يتهم بالاقليمية فكر استطاع ان يختار وان يتمثل ثم يهضم ، وان يوصل ؟. في النهاية تبقى حقيقة هي ان الفكر السوداني تنقصه الامكانات .. ينقصه « التصنيع » .. أعني صناعة الكتاب .. وهي لا تعني فقرا في الفكر بقدر ما تعني اننا الان في مرحلة المستهلك ، ولم نتجاوزها لمرحلة الانتاج .. مرحلة صناعة الكتاب .. المطبعة .. التوزيع والاسواق .. وأظن ان هذا ما يعانيه الكتاب السوري ايضا .

● اما عن المجلات العربية التي تدرج على ابراز اطر سودانية ، فاني اعتقد ان الجدل والحوار بين طرفي الحياة .. بين النهار والليل، لا بد من استمراره ، والا اصاب الحياة الصمت البارد ، ووجود أطر ادبية مختلفة ما هو الا دليل حيوية الحياة الادبية .. أما تبنى المجلات الادبية في الوطن العربي لتلك الاطر المعينة ، فمرجع ذلك اسباب : أولها اتصال تلك الاطر اتصالا مباشرا .. اما لانها عاشت في القاهرة ، واما لزيارتها لبيروت . وثاني الاسباب : ان وجدت المجلات الادبية امامها انتاجا جيدا لا يكلفها عناء البحث هنا .. والسبب الثالث ، ان المؤسسات الادبية في السودان كانت تسعى لحضور المؤتمرات الادبية التي تقام في العواصم العربية ، فتقوم تلك المؤسسات بتقديم بطاقاتها على انها النموذج الشمولي للادب السوداني .

● هذا عن السؤال الثاني ، اما عن السؤال الثالث فقد كان الوسط الادبي اذ ذاك محافظا .. ضد المغامرات في الادب والفن .. كتبت اساسا بحثا عن حجم انساننا السوداني .. عن جذوره واعماقه .. كانت القصة بشكلها المحافظ لا تسعفني .. وكنت لم أتمرس بما يكفي ، فوجدت انني اكتب ضد كل شيء .. وفيما بعد اتى رفاق كانوا قد استكملوا أدواتهم الفنية ، فتعاونا .. وها نحن نسعى معا لفتح مسالك ، مستفيدين من التراث العربي .. متصلين بالادب العالمي ما أمكن . وهو لم يكن اتصال الناقل ولا المتأثر ... نحن نعلم ان ما انجزته اوروبا مثلا ـ في القصة ـ ما هو الا انجاز مرادف للآلة .. للفكر السياسي ، ولكل تشابكات العلاقات الاجتماعية . كما كنا نعلم ان من التناقض فصل الشكل عن مضمونه .. ونحن معنيون بالشكل .. فادركنا اننا لا يمكن ان نثري ابداعاتنا الا اذا كنا في موقف الاستفادة.. ان نأخذ بحذر من الانجاز المطروح ما يمكن ان نستكمل به الشكل الخاص بنا ، والذي هو ابداعنا . . وهذا تماما ما فعله الطيب صالح ـ بندرشاه ـ فالشكل يمكن ان نرجع ملامحه « لفوكنر » وان نرجع جله لشكل الاحجية السودانية . وهنا علينا الا نهمل اهم الملامح ، وهو اللغة القومية التي هي الخط الاساسي الممتد على اطول مساحة من مساحات اللوحة ، ويبدو ان هذا السبب في ان الرواية لم تلاق رواجا في الاوساط الادبية كما لاقت « موسم الهجرة »

لذا .. نحن ندرك ان الانتشار ليس واردا بمقدار ما ترد فاعلية الاثر الادبي في اضافة الجديد لمسار الابداع .. ان كان هذا الابداع في وطننا الصغير ام الكبير .

● اما عن حركة الرواية ، والقصة ، والمسرحية ، وسماتها ، فأستطيع ان اقول انه حتى الخمسينات خضعت هذه الانواع الادبية لاتجاه السهم الواقعي . وهي واقعية ذات سمات فوتغرافية ، تعنى بسطح الظاهرة دون داخلها ، فللبطل ملامح ،واسم ، وطبقة .. اما تفرده فقد كان غير ذي اهمية . مما جعل الحركة الدرامية في هذه الانواع متماثلة مع الدراما الاغريقية .. اما هندستها فقد كانت ارسطية الا ان حركة التجديد التي ظهرت في الستينات وعت صراع الخاص ، والعام ، مستفيدة من البناء الدرامي المعاصر .. وفي المسرح الذي كان اكثر الانواع الادبية تأخرا ، فقد كانت حركة التجديد المتمثلة في النصيري ورفاقه تربط حركة المسرح السوداني بالمسرح العالمي المعاصر « المسرح الجامعي » وفي الجانب الاخر كان علي عبدالقيوم يسعى لربط المسرح العربي الجديد ، عند سعدالله ونوس . وهي مرحلة اولية يمكن ان تسمى بالمرحلة الاعدادية للنهضة المسرحية رغم تجاوزها لاجتماعيات حمدنا الله عبد القادر .

لقد اصبح واضحا لكل الانواع الادبية ، ان الانسان ليس معزولا عن العالم . فهو يتاثر به ويؤثر فيه ، ولا بد بالتالي من الانفتاح على الذات الانسانية لنثري بها ولنثريها .

## عبد الهادي صديق

● عن السؤال الاول : السودان اقليم من اقاليم الوطن العربي .. تكون بعد التفتت الجغرافي الهائل الذي اصاب خارطة الوطن العربي وحين « كان امر الامة العربية حريزا مجتمعا ونظاما ممتدا ، وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبة على سائر مضر » على حد قول العلامة ( ابن خلدون ) .. أما وقد صارت الدولة العربية ثلاثة اقسام وحدث ذلك التفتت السياسي فقد صارت نظرية « المكان » تتحكم في تراث كل دولة .. كما سعى ابن خلدون لاستحداث علاقة بين اجواء تلك البلاد ، ومزاج سكانها ، وما في ذلك من اختلاف يتبع التكييف مع الحياة ، والموقف من خلال الرؤيا المحلية والصادرة عن « المكان » . المفكرون لا يحترمون الجغرافيا . ومنذ ذلك التاريخ اخذت الاقليمية واضحة الاثار في تراث الفكر السوداني . لسبب بسيط هو اختلاف كيفي يتفرد به السودان عن سائر البلدان العربية . وقد كان اثر الاقليم في الادب والفكر السوداني مرتبطا بالتطور المادي والاجتماعي لبلد يضم اقاليم داخل اقليم . وحتى اليوم فان ادبنا وفكرنا لا يجد خلاصة من مشاكله ومآسيه الاقليمية الخاصة ، بل ان الانتاج الادبي والفكري عبارة عن روافد اقليمية تتصارع حول ادب ، وفكر مركزي .. كل يغني على ليلاه .. صراع بين اقاليم منتجة حول حق ملكية واستهلاك هذا العطاء .

اذن نحن ما زلنا في مرحلة ازالة الفوارق ، ومحو الامية ، وجمع مشاكلنا ، واستيعاب احزاننا ، وتحرير ذاتيتنا الخاصة من ابدي الطائفية ، والادارة الاهلية ، والمناطق المسدودة بالعرى ، والجهل ،

والجوع .. الصراع لا ينتهي من هذه المرحلة بعد ، حتى نؤسس ادبا قوميا ذا امكانيات محلية ، متصلة وشاملة ، وبذلك يصبح السودان نفسه من ناحية التكوين والوجود ، حديث العهد بامكاناته الذاتيـة والقومية . فلقد أملى التركيب التاريخي والاجتماعي على فكرنا اخطر المكونات ، وحاصر العقلية السودانية بحواجز لا يكسرها الا الزمن . فلم يمض وقت طويل منذ ان تكونت أول دولة سودانية عربية بالتقاء الوترين الافريقي ، والعربي ، وصار الفكر السوداني يستخدم الثقافة العربية اداة لنهضته .. وسرعان ما نشب الصراع بين الاصول الوافـدة ، والاصول المحلية ، ودخل الفكر السوداني من جراء ذلك في دوامة من الاصطراع الثنائي ، والمزدوج نحو البحث عن صيغة موحدة لفكره ـ السودان هو البلد العربي الوحيد الذي يجمع بين ثنائيات لا تنتهي .. يجمع بين النهر .. والمطر .. بين الساحل ، والغابة والصحراء .. بين العربي ، والزنجي .. بين اللغة العربية ، ومئات اللهجـات الافريقية .. بين الوثنية ، والتوحيد .. واجب الفكر السوداني هـو التعبير عـن هذه الثنائية والازدواج ، بل جمع هذه المتناقضات في اطار قومي واحد ، وفي بلد متعدد القوميات ، ليس هناك على خارطة الوطن العربي بلد يعاني ما يعانيه الفكر السوداني ..

وبعد .. فان الادب القومي بكل محليته ، يحاول العبور فـي بسالة واجتهاد للقاء قريب ، ومع اذابة هذه الحواجز الماديـة ، والاجتماعية مع الزمن .

ان الفكر السوداني في محاولة جادة للامساك بجذور التكويـن الاول . ان واجب الفكر هو التعبير عن الملامح المشتركة ، في وطـن متفتت ، ومترامي الاطراف ، يعيش مشاكل المواصلات ، والعطـش ، والتخلف ، ليس التخلف الفكري كما يصفه السؤال المطروح ، ولكـن التخلف بمعناه الواقعي ، والذي لا مفر منه .. نحن نحاول داخـل ظروفنا الموضوعية ، ان نحاور انفسنا ، وان نمارس التفكير بصـوت مسموع . ونحن داخل هذه الظروف ـ مثلا ـ اذ نحاول استحداث قيم فكرية جديدة في شتى مناشط الثقافة ، نجد ان الشعر الشعبـي ، والقومي لا زال باحتفاظه بالقدر الاكبر من المكونات ، والامكانات يمثل الاستجابة الحقيقية لوجدان شعبنا .. وفي بلد لا تتجاوز فيه نسبة التعليم الاربعة بالمائة .. لا نعد ذلك تخلفا ، بل نعده امكانا هائـلا يستطيع ان يمثل جسر العبور الذي يحمل أدبنا .. حاول « الطيـب صالح » ذلك في روايته الاخيرة « بندرشاه » فلاذ النقاد العـرب بالسكوت .. هذه الرواية هي السودان ، ومن لا يحاول استيعابها فلن تتاح له فرصة كهذه لمعرفة ما السودان .. نعلم ان ثمة حواجز تنهض في وجه ادب بلاد اللهجات كحاجز اللغة !!. ولكن لماذا يفرض علينـا الاخرون وجوب فهم لهجاتهم العربية ، ولا يحاولون هم معرفة لهجتنا .. نحن أشبه بمدينة محاصرة لا يقوى سكانها العزل من السلاح من الخروج نحت وابل الرصاص ، والدخان .. اننا نحاول استحداث لغـة « هجين » لتعبر عن شخصيتنا ، لان اصالتنا الفكرية تقتضي هـذه الثنائية ، ولسنا بذلك « شوفينيين » او شعوبيين او خوارج ، ولكن محاولة للبحث عن ذاتنا تقابل بمثل هذه الاتهامات ، فنعود لمتابعة تطور الفكر والادب العربي وراء جهات لا تعرف عن طبيعة هذا البلد الا مقاييس تقليدية بالية ..

ان تصدير هذه الامكانات ، يتطلب منا بحثا جديدا عن ذاتنا ، وتحررا كاملا من رق الافكار التقليدية للانعتاق ، والاتصال ، والشمول.

● اما عن موقف المجلات ، فان ذلك يرجع الى مسؤولية الاجهزة الاعلامية بكافة اشكالها ، وارتباطاتها في الوطن العربي ، فالمجـلات العربية للاسف لا تعرف الا السودان «الشعار» الذي يرفع في الواجهات وفي اللحظة المناسبة .. هذه المجلات لا تعرف شيئا عن السودان المبدع والمتحرك الا في المناسبات ، وكأنها حفلة تابين ، او ذكرى ، وحيـن يلهث محرر تلك المجلة وراء المعلومات يصبح صيدا سهلا للنصابيـن ، والاحتكاريين المتربصين من الادباء العجزة ، الذين يروجون لربطـات اعناقهم من خلال كاميرات المناسبة ، فتجيء هذه « الملفات الخاصة » كشعر المناسبات تماما من الجفاف ، والرتابة ، والزيف .. المجـلات التي تبرز هذه الاطر التقليدية تتأثر بموقفين .. داخلي ، وخارجي . فهي قد تعكس ما يدور داخل بلادنا من اضطهاد لصوت التجديد بحجة العقوق ، والخروق ، وسوء الادب ، باستنفار مشاعر البسطاء من الذين نسعى لتحريرهم من التخلف والرياء .. فالاصوات الادبية الجديدة لا تجد ترحابا من اجهزة النشر والاعلام ، اذ هناك اعتقاد لا يزال فـي الاشكال التقليدية من الادب ، واحكار فاحش للمنابر من قبل بعض الذيـن شاركـوا في تربية القارىء ، والمستمع تربيـة خاطئة ومتخلفة، بالاحتفاظ به داخل أطر وافطاعيات هائلة من السجون الاعلامية. فالاديب السوداني يقاسي من تناقضات اكل العيش والابـداع ، ويعـرض بضاعته في موسم صعب ، فثمن الهبوط الى الشهرة مكلف ، يعـده البسطاء لونا من ترف المثقفين وتعاليهم .. ومن ثم يهرب عنه الـى صفحات الرياضة .. اذ ليست لدينا مجلات متخصصة فيهذا المجـال بينما نجد ان صفحات المراهنات الرياضية في المجلة الواحدة منفصلـة عن صفحة الرياضة العامة .. اننا في حاجة لبناء قواعدنا القارئة على حسابنا الخاص ، في الشارع والمدارس ، والمزارع ، والمصانـع ، والبيوت ، ومن هناك يمتد الوعي حتى يغزو المجتمع .

اما في الموقف الخارجي فانك تريدنا ان نحدثك عن عبورنا للضفة الاخرى باطاراتنا الجديدة .. فكيف يتسنى ذلك ، وصلاح عبـد الصبور لا يزال يمثل الصيحة الاخيرة في عالم الشعر الحديث .. ام كلثوم تعتقل على المنصة العتيقة مسيرة الغناء العربي ثلاثين عامـا ، وتسد بحلقها كل الشوارع المؤدية خارج الزمن القديم ... تردنا الـى سواقينا ، ومراعينا ، ووسائل انتاجنا البدائية في بحر من الخمول ، والنعاس .. نجيب محفوظ بعد تقاعده ، يحاولون فرض اشكاله على الخدمة المستديمة .. ومؤامرات الصمت ضد الاصوات الساخنـة الحارقة في بلادنا لا تنتهي .. نحن افوى جبهة شعرية شابة في الوطن العربي ، ومع ذلك فان اعظم من كتب هذا الشعر من الشعراء الشباب لا يملكون دواوين شعر .. السودان يحتفظ للوطن العربي بشعـراء مستقبله ، وهو لا يعرفهم : محمد المكي ابراهيم ـ محمد عبد الحي ـ علي عبد القيوم ـ عبد الرحيم ابو ذكرى ، وعشرات الاخرين .. كلهم لا يملكون دواوين شعر .. الوطن العربي تعرف فقط على الشعـراء ، والادباء الذين خاطبوه خارج خارطة السودان : الطيـب صالـح ـ الفيتوري ـ سيد احمد الحردلو ـ .. ان الاطر الجديدة التي شادها صلاح احمد ابراهيم ـ جيلي عبدالرحمن وناج السر الحسن ، ومحيي الدين فارس ، تتعرض هي الاخرى لتجديد هائل ومبتكر . ديناميكيـة الادب السوداني اذن لا تتوقف لاننا لا نستطيع أن نحول مجرى النيل معهم الى القبر .. الطيب صالح نفسه يتعرض لتجاوز جديد فـي الشكل القصصي ـ كتاب القصة الشبان لا ينقطعون عن التجديد .. بطاقات الاحتجاج الصارخة تصفع الاطر التقليدية على صفحات المجلات تجديدا وابداعا .. الا ان امكانيات الطباعة ، والنشر تقف عقبة كريهة امام انفتاحنا ، وعبورنا ، ومشاركتنا للعالم بحفنات من العطاء الجديد .. اناشد كل الحريصين على نحري الصدق ، من محرري المجـلات العربية ، ان ينظموا حملة لنشر الانتاج السوداني في أطره الجديدة.. عندئذ .. وعندئذ فقط تكون هذه اجابة موضوعية للتساؤل .. كمـا نناشد دور الطبع والنشر العربية ان تقيم معنا تحالفا واسعا ، وعريضا

● بصفتي صوتا جديدا .. انا اجد صوتي في عشرات الاصوات الاخرى التي تفجرت ، وافلحت في اواخر الستينات أن تنظم حصيلة الابداع الشاب في تجمع للكتاب والفنانين يدعى ( أباداماك ) تيمنـا باله الحرب والصحراء النوبي في مملكة مروي القديمة ، رمزا للرجعة

للامكانات المادية والروحية التي اقامها اجدادنا ، بعد ان نزحوا للداخل تحررا من الحضارة الفرعونية ، واتخذوا هذا الاله الاسد بدلا من « آمون » الحمل الوديع .. كانت مرحلة « ابا داماك » الاله الاسد ، اول مرحلة تظهر فيها آثار التكوين انتقافي ، والفكري السوداني ، كما يظهر على جدران معابده بعد الانفصال ، والعودة ، والمتمثلة في اختراع اللغة المروية ، بدل الهيروغلوفية ـ والاشعار الدينية ـ والالات الموسيقية المحلية كالربابة ..

ان اولى مميزات اصواتنا هي العودة العميقة لاستقراء ذاتنا واقعيا وحضاريا .. اننا نتاج مجهودات عظيمة من التجربة والمقاساة لاجيال سبقتنا ندين لها بالاحترام ، وليس بالولاء . ان صوتنا يستطيع بحضوره التاريخي وعلى ضوء ما اكتسب من وعي ان يكتب الصيغة الراهنة للثقافة السودانية .. ان لنا همومنا الخاصة ، ونشعر بالحرج .. ونحن غارقون في المسؤولية ، نستشرف على مسافة ثمانية وعشرين خريفا من نهاية القرن العشرين المستقبل .. والمستقبل وحده هو الذي يعلم ما اذا كان ستنهار جدراننا او تزهر حديقتنا ..

وبظهور الماركسية في آفاق الثقافة السودانية أصبح كل المبدعين من الادباء الشبان اليوم من اليساريين ، وغابت حركات التناقض والتجريب . حتى الوجوديون اصبح لا وجود لهم في حركة الادباء الشبان .. هذا يعني مقياس السرعة التي يسير بها أدب الشباب .. اننا نختلف عن الاصوات التقليدية باننا ابناء شرعيون لحركة الجماهير الهادرة في الشارع .. كمجرى التاريخ ، هاتفة ضد الصوت التقليدي والمحافظ .. ان الادب الشاب يقود معركة رهيبة ضد الحركة التقليدية التي لا زالت شرنقاتها تتنفس ، وبصعوبة بالغة من مستنقعات المياه الراكدة ، التي تتيحها فرص غش الاخرين ، باسم الحفاظ على الموروث .. ضدنا نحن الذين نعمل من داخل الموروث لتحرير هذه الاذهان من أزياء عصور الاقطاع والاسترقاق ..

اما من ناحيتي الشخصية .. أنا الذي نلت درجة الشرف في اللغة العربية الكلاسيكية .. وهذا يعني انني جودت القرآن ، وقرأت كتاب سيبويه ، وألفية ابن مالك ، ونظرت في اصول الفكر واللغة ، اجد نفسي في موقع استراتيجي للرفض ، وايجاد البديل والاضافة .. فانا اختلف عن ذلك المقلد باني ارفض عن وعي بما ارفض ، وأقبل ما اقبل .. اما الاصوات التقليدية فهي لا تستطيع مسايرة زمن جديد يقف ضد كبتهم ، وطبقتهم ، وتكوينهم الفكري ، ومقدرتهم في الاستمرار .

انني من خلال عطائي الادبي ، احاول ان ارى رؤيتي التي تحقق التلاحم العضوي بين صوتي ، وصوت الاخرين ، بالتجرد عن الذاتية ، والانانية ، وان اتحرى الصدق الفني بالتخلص من الميتافيزيقية الهروبية والى مدن وهمية فاضلة ، وبالدخول في حوار مع السطر الذي أسجل عليه افكاري بشجاعة ، وتحرر كامل من عناصر ذلك الخوف . حتى امنح الاخرين حاجتهم اليومية من الغذاء المادي ، والعلماني المحسوس ، ما يضمن تحررهم ، واستمرارهم ، واستشرافهم قمم الحياة الشريفة ، التزاما ، ووظيفة ..

هكذا اختلف مع الاصوات التقليدية .. ان قلمي يستمد مداده من الواقع الحياتي اليومي ، فيصبح ساعدا من سواعد التاريخ القوية ، لدفع نهر « هيراقليطس » للامام .. ان صوتي متحرر من التعبير عن طريق الرموز الغامضة ، وتسمية الاشياء بغير اسمائها .. ويعمد لخلق ظروفه الخاصة .. عكس الاصوات التقليدية التي تترك للانظمة الاجتماعية حق الوصاية على بضاعتها .. على مبدأ « ما يطلبه المستمعون » ..

فالتقليدية .. اذن تقليد في الموقف والتجديد ، بتحديد في الموقف ايضا .. ومن ذلك المفهوم تنفجر الاشكال الادبية ، قيدا .. وانطلاقا .. لان ادب الحقيقة الموضوعية الذي تحاول اصواتنا نقله ، يملك حجة اقناع القارىء . بان هذا الادب صورة حقيقية ، وانعكاس صادق لوجدانه .. وانطلاقا من هذا الموقف ، وبدون مراعاة للاشكال ، والهياكل التقليدية ، ينتهي الشكل الفني الذي يلائم التجربة الجماعية او « الوحدة الدينامية » . و « التكامل العضوي » ، بين العاطفة التي يحسها الاديب ، والصورة التي يعبر بها عن تلك العاطفة .. ان اصواتنا بذلك ، ولكي لا تستحيل الى مجرد ابواق ، ومكبرات صوت، ولكي تكتسب تفردها لا تكف عن رحلة الشك اليومي ، نحو اليقين ، عبر نشرة الاخبار ، واسعار السوق ، وتسجيل الوفيات .. تبدأ رحلة تكره الانتظار ، والانتظام في الصفوف ، والقوالب الجاهزة .. لاننا نخشى دائما ان تطالبنا عجلة التاريخ بعوائد جديدة من الشكل والتعبير .. حتى مقاييس الذوق الجمالي تتعرض في اعمافنا للاخذ والعطاء .. عكس التقليدي الذي يحمل مقاييس جاهزة للجمال ، يجرد بها الفنون الجميلة ككل .. يأخذ من بعضه .. ان الزمن يفرض بلاغته ، وبيانه على الصوت الجديد ، ويبدل اشكاله ، كما يبدل الانسان ملامسه ، منذ ان كان عاريا حتى اخر صيحة من صيحات الموضة ..

واخيرا .. فهناك الفرق الهائل في تعريف الثقافة نفسها ..فهي لدى التقليدي مجرد حشو .. ولدى الصوت الجديد استخدام لهذا الحشو .. برفض بعضه وتعديل بعضه ، وقبول الاخر .

● اما عن السؤال الرابع ، فان طبيعة كل حركة جديدة مقرونة بحركة الزمن نفسه ، وحركة التاريخ ، والعصر .. فلقد اخذ العالم من حولنا يتجاوز عصور التجريب الطويلة من البحث ، والسباحة ، والتحليق .. الاختراعات الجديدة تنسخ بعضها البعض بسرعة مذهلة .. وسائل الانتاج العصري ، والاساليب ، والموضات .. كلها تنعكس في الاداء الفني ، والادبي .. لم تعد الرواية جزءا من عصر التجريب، طويلة تنتقل عبر السنين ( الحرب والسلام باجزائها لتولستوى ) .. بل صار لدينا الطريق الواحد والاقصر .. اصبحت هناك وحدة الزمن ، ووحدة الرؤيا .. اي بادخال تحسينات جديدة على مجرى التاريخ .. اخذت الفنون ، والاداب في تاليف اشكالها الهندسية الجديدة من مواد التصوير الحديث .. وبذلك ، فاننا نستطيع ان نتكهن مثلا باستنفاذ الرواية الطويلة لاغراضها .. وان نموذجا جديدا ينشأ ليتلاشى هو الاخر ... انني لا استطيع ان اتصور ذلك بوضوح .. لكنني اشير الى الصراع القائم من اجل اسقاط الفوارق ، من أجل اسقاط الحاجزين : اللفظة .. ومعناها .. والصراع لازالة الستارة القائمة بين الممثل والمشاهد في المسرح .. بين الذات ، والموضوع .. بين العمل اليدوي ، والعمل الفني .. بين الانتاج الادبي ، والاستهلاك الادبي .. فالثقافة للجميع .. خاصة بعد محو فوارق الامية ، وفرص العمل والمتعة .. هذه الاشكال الجديدة تحاول اسقاط القناع ، ونبذ المساحيق والاصباغ ، وفتح حوار مع المشاهد في المسرح .. حاولنا ذلك .. وقدمنا مسرح الشارع في اول مسرحية تسجيلية ..البطل هو الجمهور .. والمسرح هو الشارع .. البطل يتحرك باشارة من الهتافات .. الكل يقول رأيه .. لم يعد المسرح مجرد نشاط روحاني لغسل النفس من زكام العادة ، وتخليص الفرد ، بل صار علاجا ومصادمة للداء .. حاولنا مسرح القرية .. وكونا فرقة من الفلاحين ، وعقدنا علاقة بين ملابسهم القذرة ، وستائر المسرح الحريرية .. كانت تجربتنا رائدة في العالم العربي .. الفلاح يمثل الدور الذي يقوم به في الحياة او يعاني منه .. محاولة لمحو الفوارق بين العمل اليدوي ، والعمل الفني .. واخيرا درت المسرحية ربحا وفيرا للقرية ، قد يتجاوز ربحهم من زراعة القطن في موسم كامل !

القصة القصيرة سيدة الموقف والزمن . بها يستطيع الكاتب ان يتصل بالقارىء داخل حدوده الزمنية المتاحة .. ومستخدما مختلف المؤثرات الفنية الاخرى : النثر الشعري .. اللقطة السينمائية .. الموروث الشعبي والخرافة .. المونتاج .. والتشريح .. الظل واللون

في القصة القصيرة تثبت دعوى تعدي الفنون على بعضها البعض . لذا فان السمة العامة لهذه الحركات ، هي محاولة تجميع كل هذه الفنون القصة .. الرواية .. الشعر .. المسرح . في شكل فني واحد يعبر به الانسان عن تجربة في الزمن الاتي . كذلك نستطيع ان نتحدث عن الحركة الشعرية .. واننا لا نستطيع ان نتكهن بمستقبل الشعر .. فمنذ بداية حركة الشعر الحر ، فالاعتداء على اغلاله ، وقيوده ، لا يتوقف .. هذا يعني ان الشعر في القرون القادمة سوف يستحيل الى مجرد شكل تاريخي .. وعندما يصطلح الانسان شكلا واحدا من الفن ، تكون كل هذه الفوارق قد ذابت ، وظهرت الى الوجود حقائق جديدة .. ومتجددة ..

## محمود محمد مدني

● الفكر السوداني .. هل هو متهم بالاقليمية ، أم بالتخلف ، أم بعدم الامكانات ؟

هذا السؤال ، تبدو الاجابة عليه منشعبة .. اذ لا بد من دراسة خلفيات هذا الفكر ، والروافد التي كونته ، والمنابع التي نهل منها . فالفكر السوداني ، كان متهما بالاقليمية في مرحلة من مراحل نموه ، وتطوره ، ولكنه لم يتخلف في جميع مراحله عن قضايا العالم من حوله .. اي قضايا الانسان المعاصر . اذ ان للفكر السوداني في كل مرحلة مر بها دورا .. بمعنى ان جزءا كبيرا من الهم الشاغل للعاملين في حقل الفكر السوداني ، في مراحله المختلفة ، كان دأبهم الانفتاح على الفكر العربي ، والافريقي ، باعتبار ان هذا الفكر نفسه ظل ينهل من الفكر السوداني ، في مراحله المختلفة ، كان دأبهم الانفتاح على الفكر العربي، والافريقي ، باعتبار ان هذا الفكر نفسه ظل ينهل من الفكر العربي ، والثقافة العربية ، والاسلامية ، ويتاثر بهما ، ويؤثر فيهما ـ الى حدود ـ كما أن الارتباط بالفكر الافريقي ، والثقافة الافريقية ، ظل قويا ، خاصة ، وان زهاء الاربعة ملايين مواطن سوداني في مديريات السودان الجنوبية ، ينتمون الى فكر افريقي ، لم تستكشف أبعاده حتى الان .. لمجموعة اسباب .. وثقافة افريقية .. بل يعيشون على نمط ما تعيش عليه قبائل ، في عدد كبير من الدول الافريقية المجاورة للسودان .. واقليمية الفكر السوداني مرتبطة في نظري بعدم الامكانيات الامر الذي لا يعاب عليه الفكر السوداني اصلا ، ولكن تعاب عليه الحكومات التي تولت السلطة في بلادنا ، منذ استقلال السودان عام ١٩٥٦ . فقد انغلقت سلطة البرجوازية الصغيرة على نفسها طوال تلك السنوات ، ومنحت كل امكانيات البلاد للصراعات السياسية ، دون ان تفتح نافذة امكانات واحدة في وجه الفكر السوداني . بدليل انه لم تقم طوال سنوات صراع الاحزاب السياسية في السودان مؤسسة واحدة لتخرج بالفكر السوداني للتفاعل ، والمشاركة ، والمساهمه في قضايا العصر ، وقضايا المنطقة العربية ، والقارة الافريقية ، وهذا هو السبب الرئيسي في اقليمية الفكر السوداني ، رغم اشرافات المحاولات الفردية ، التي كانت دوما يلوى عنقها عند اول عقبة تواجهها .

ليس هناك دار نشر واحدة في السودان تحتضن نتاج هذا الجيل ـ ولم يكن في الاجيال السابقة طبعا ـ وهذا نفسه يشكل ركنا اساسيا من اركان الاقليمية . وقد اسهمت المحاولات الفردية ، كما اسلفت . كثيرا في كسر رتاج الاقليمية ، منذ ان انفتح على مصر الشعراء : تاج السر الحسن ، وجيلي عبد الرحمن ، ومحمد الفيتوري ، وقبلهم ، معاوية نور .. وفي القصة عثمان علي نور ، الذي يعتبر أحد رواد القصة القصيرة في السودان .. اذ انه اسهم في وقت شح فيه الاسهام واستطاع هذا الانفتاح ان ينقل الاصوات السودانية الى حدود .. في الشعر بصفة اساسية . والقصة .. لتسمع في مصر .. ثم تفاعل هؤلاء مع الحركة الادبية العالمية ، بما فيه الكفاية ، واثر هذاالنقل الى الجيل الشاب الحالي من الكتاب والقصاصين ، والشعراء . وان كان قد تخلف في حركة الفنون التشكيلية ، والموسيقى ، وغيرهما من الفنون . وقد بدأت هذه الاقليمية التي لازمت الفكر السوداني تندحر امام اجتهادات الكتاب الشبان في نشر انتاجهم في القاهرة ، وفي بيروت ، وخلافهما .. مما دفع الفكر السوداني خطوات جديدة ، خاصة وان عددا من الشبان قد ركز في دراساته على اصول الفكر السوداني، منابعه ، وروافده ، ومكوناته . وستشهد السنوات القليلة القليلة القادمة نقلة كبيرة للفكر السوداني في المجالات العربية ، والافريقية ، وستاتي العالمية حتما ، اذا تلمسنا الخطوة الاولى على الطريق الصحيح ، الذي يقود فكرنا وانتاجنا للمشاركة ، والتفاعل مع حركات المد في العالم الذي اصبح صغيرا بفضل مساهمات العلم ، والتكنولوجيا .

● هذا الصوت يحاول ان يبدع ، ويخلق ، لاوفق المعادلات السلفية ، المكونة للارضية التي ورثها من الذين تقدموه في هذا المجال، ولكن وفق معاناة جيله على مستوى العالم ، مع الخصوصية الشديدة ، للقضايا الاساسية التي يعاني منها الشعب السوداني ، في فترات التحول الاجتماعي ، ذات الانعطافات الحادة .. أحاول ان ابدع في مجال الرواية الطويلة .. فن لم نرث نحن كجيل فيه شيئا . من السلف الذي يزم شفتيه بشماتة في وجه محاولات هذا الجيل ، للخلق والابداع . لم يكن عندنا حتى الستينات روائي واحد .. روائي يكتب رواية حقيقية لا مجرد خواطر ، او انطباعات . ورثنا قبض الريح ، الى ان جاء الطيب صالح بالدهش الرائع ، في روايته « موسم الهجرة الى الشمال » و « بندرشاه » ، وقبلهما « عرس الزين » . الطيب صالح يمثل الجيل الوسط ، فلا هو جيل معاوية نور ، وحمزة الملك طمبل ، ولا هو جيلي .. لا استطيع ان اسميه حلقة وصل بيننا وبين الجيل الاسبق .. فهناك الفراغ وعدم التعب ، واتركون الى الخواطر ، والانطباعات ، والتلاعب باللغة .. وسط هذا كله أحاول مع شبان اخرين خلق رواية سودانية حقيقية ، يكون همها الاول الانسانالسوداني خلال همومه ، ومشاكله ، واحزانه ، واشراقاته . أحاول كتابة رواية بتكنيك حديث ، استفيد فيه من ثقافتي في هذا المجال ، وفق شروط خاصة ، أصنعها ، وانا أمارس الكتابة بحيث يكون المتلقى الذي هو القارىء ، في هذه الحالة احد همومي وانا اكتب .

تحاول معي مجموعة من الشبان أهمهم : عثمان الحوري ، وعيسى الحلو ، وعمر الطيب الدوس ، وهاشم محجوب ، ومختار عجوبه ، وحسن محمد سعيد .. عيسى الحلو قدم للقارىء السوداني .. مثلا « حمى الفوضى والتماسك » . وهاشم محجوب قدم « مقدمة السفر الثاني » ولعثمان الحوري رواية باسم « اجنحة الصقر الميت » ، ولعمر وحسن روايتان لم تريا النور بعد .. عندما اقرا ما يكتب أبناء جيلي في الدول العربية من قصص قصيرة ، وروايات ، اشعر ان ازمة النشر ، وقصر اليد ، تظلماننا كثيرا . لنا انتاج روائي شاب له اسنان ولكـــن ..!

اعتقد ان روايتي الاولى المحبوسة ، في قصيدة أزمة النشر ، وقصر اليد ، واسمها « مذكرات الحب والغضب » ارضتني . كتبتها بمعاناة وصبر شديدين .. اعتقد انها بداية جديدة لانتاجي الروائي.. موضوعها انسان سوداني ـ نموذج ـ تحت ظروف ( عامة خاصة ) . قصدت فيها ادانة الثورة الفردية .. الانتحار تحت عجلات المستحيل .. ليس فيها اشياء مباشرة .. اسلوبها الشعري المتماسك دونتكثيف غامض خدم المضمون الى حد الذهول . التقييم يبقى بعد أن تنشر .. اكتب الان الرواية الثانية ، بعنوان « الاشياء التي كانت » . امتداد للرواية الاولى من زاوية اخرى .. ازمة المثقف السوداني في دوامة الزمن والاشياء والفراغ ، والتمزق ، والجنون ، والالتزام ، واللاالتزام .. أحاول فيها العبور الى رؤيا جديدة ، فيطريق بناء رواية سودانية

# اللحظات الأخيرة من حياة متشرد

ـ ١ ـ

لم يزل في الوقت ساعات لكي ..
اسرعا يا قدمي
ان قلبي ضلّ في منفاه فيّ
ادركاه فبمنفاه القصيّ
تصبح الغربة أوطانا ...
وينسى الاهل والخلّ الوفي

ـ ٢ ـ

كان في الخارج شرطي وكـان
يسأل المارة عن اسمائهم
ويشق الصدر كي يقرأ تحقيق القلوب
ـ ما اسم هذا المار ذي الوجه الغريب ؟
قلبك المبهم لا يحمل شارات الوطن
او مكان المولد الاول او صورة انسان قريب
قلبك المبهم مثقوب بآلاف الثقوب
ـ سيدي الشرطي عفـوا
قبلـك الشرطة بالآلاف كانـوا
يثقب الواحد قلبي الف ثقب
وأنا لا أعرف الان بماذا سأجيب !

ـ ٣ ـ

امثل الان قضاتي بينكـم
وأنا ابصر في أعينكم موتي المسبق آه
كلكم قاض ، وملايين القضاه
شرطة كانوا وكان الشرطة الخلّص في البدء
شيوخا للمناسر
ولصوصا يسرقون الزاد من جوف المسافر
وانا كنت مسافـر
أسلمتني الريح للريح التي تعبر ،
أطراف الفلاة

ـ ٤ ـ

ولي وطن بلا قلب
ولي قلب بلا وطـن
ثمني بلا ثمن

ـ ٥ ـ

سائق الاظعان يطوي البيد طيّ
منعما عرّج على اشلاء قلبـي
وابـك ما شئت عليّ

القاهـرة

**نصار عبدالله**

---

حقيقية .. اكتب القصة القصيرة منذ ثماني سنوات . لي اكثر مـن ثلاثين اقصوصة ، انا راض عنها ، بعين الناقد المحايد ، واحـاول الخروج بها من دائرة ما عرفه القارىء السوداني من قصص احسـان عبد القدوس ، وآمين يوسف غراب ، وكل القصص التي من هذا النوع خاصة وان عددا من مدعي الادب ، قد افسدوا ذوق القارىء السوداني وحطموا فيه الطموح للقراءة المبدعة ، أمثال : احمد محمد الامين ، وهندي عوض الكريم ، وحسن امين ... الخ .. خاصة وانهم كانوا ، وما زالوا يجدون الطريق لدفع انتاجهم الغث الباهت للمطابع . وبهذا حجبوا الرؤية امام الانتاج الادبي المتميز والخلاق . وكانت وما زالت لي محاولات لعرض انتاج حيدر حيدر ، وزكريا تامر ، وهاني الراهب ، والجيل الجديد الذي يتهيب اصحاب المكتبات المغامرة في التجارة في انتاج هؤلاء الفتية الكتاب ، وتتوقف عند حد تداول عدد كبير من الكتب الادبية الفثة والرخيصة والصارخة ، دون رقابة من الدولة ، او مـن المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون ، الذي كوّن اخيرا ، والذي يبدو انه قـد غرق في دوامة المسائل الاداريـة ، والبحث عن المخصصات.. وفي كلمـات يحاول صاحب هذا الصوت ان لا يكون ضمن ( الجوقة ) . يحاول ان يتفرد ، فيبدع ، ويجتهد ، ويتسلح بالثقافة ، كاسر الحلقات الضيقـة ، ورافضـا القيود ، وملتزمـا جانب الذيـن جعلوا الابـداع هدفـا من اجل ان يبقى نسمة في صيف حيواتهم المرهقة ، واعني بهم الجماهير العربية ، ضد كل ما هـو خنوع زائف ، مع الثورة الفلسطينية الجريحـة الصامدة . في وجه القتل والتقتيل . ومع الانسان في كل مكان ، وزمـان ، في عصر ( اغتصاب العالم باللغة ) كمـا يقـول فردريش دورينمارت ، ومع الامل والنور ، بالثقافة ، والوعي ، والصدق الجسور ، وشموع الحنان التي تخترق ظلام اكواخ الوحدة الانسانيـة في عصر التروس ، والاقمار !

قطعـا لا تتوقف ديناميكية الادب السوداني ، عند الاطر التـي تحددت لدى القارىء العربي ، بفضل ما تنشره المجلات الادبية في الوطن العربي ، لان مـا نشر ، وينشر في المجلات الادبية ، التي تصدر فـي الوطـن العربي ، يمثل جزءا من الانتاج الادبي في السودان ، وقـد بقي جزء كبيـر من الانتاج الادبي لم يطلع عليه القارىء العربـي ، وبصفـة خاصة انتاج الكتاب الشبان ، والشعراء . لان هذا الانتـاج يشكل اهميـة اساسية ، وركنـا من اركان الادب السوداني الحديث.. واعتقـد ان المخرج الوحيد للتصحيح ، هـو ان يطلع القارىء في الوطن العربي على هذا الانتاج ، وذلك بان يتحرك الشبان ، وان تفتـح دور النشر العربية الكبرى صدرها لانتاجهم .. ولعل هذا يقودني للحديث عـن طبيعـة الحركة الجديدة ، في مجال الرواية ، والقصة القصيرة والمسرحيـة ، الشعراء الشبان ـ شعراء هذا الجيل ـ يرون ان الشعر

ـ التتمة على الصفحة ـ ٨١ ـ

# ندوة الشهر

## قضايا الادب السوداني

ـ تابع المنشور على الصفحة ـ ٤٨ ـ

ليس انعكاسا للواقع ، ولكنه ابداع للواقع . ينطبق هذا على الرواية، والاقصوصة ، والمسرحية ، والفنون التشكيلية .. هذه الحركة الجديدة تؤمن بالتخطى ، والتجاوز ، وان عملية الخلق الفني بحد ذاتها ثورة ، وعبور للابداع التاريخي . والحركة الادبية الجديدةفي السودان ـ والتي انتمياليها ـ تؤمن بما قاله الثائر العظيم انستو شي جيفارا ( اننا نصنع انسان القرن الحادي والعشرين .. بل انسان كل العصور ) . كما ان هذه الحركة الجديدة ، التي تجتاح الادب السوداني ، خلقا ، وابداعا ، وصلاة ، نعتقد ان الفنان الذي لا يعلن ولاءه للحاضر ، ولا يحدد موقفه منه بصورة صريحة ، وواضحة ، ولا ياخذ مكانه بين صفوف كادحيه ، وجماهيره ، لن يكون له شرف منح المستقبل مثل هذا الولاء .

واعظم ما يميزالحركة الجديدة في الادب السوداني ، انها جادة للغاية ، من خلال الفهم الموضوعي للمتناقضات التي تسود فانونالحياة، وفهم اكتشاف منطق حركة التاريخ ، والتفاعل مع احداث العصر ،بحيث يمنح كل هذا الكاتب ، والفنان الرؤيا الشاملة ، والقدرة علىالتخطي والتجاوز والتوجه ، الى المستقبل ، خاصة وان المستقبل لا يولد في فراغ . وهذه الحركة الجديدة ابرز فرسانها في الشعر : محمد المكي ابراهيم ، وعلي عبدالقيوم ، وعبدالله جلاب ، ومأمون زروق ، وفي القصة : عثمان الحوري ، وعيسى الحلو ، وعمر الطيب الدوش، وهاشم محجوب والشعراني ، وفي المسرح شوقي عزالدين ، وعزالدين هلالي ، وهاشم صديق ، وفي النقد ، عبدالهادي صديق ، قطعا ستصل بالادب السوداني الى آفاق اكثر رحابة ، وصدقا ، واصالة ، وجدية ، ضد التجريد ، والهلوسة ، وكل الاشياء القبيحة،والمبتذلة.

### عبدالله جلاب

● اولا استميحك عذرا ، فلست مؤهلا للحديث عن الفكر السوداني . ان كان هنالك شيء يسمى كذلك .. وان كان القصد من هذه ( الندوة ) ومن السؤال الاول هو « الفكر » لا « الادب » فسنحتاج لبعض الوقت او الى ندوة اخرى ،حتى نتفق على ما نعني بقولنا «الفكر السوداني» .

لا اظن هنالك فكر امةبقدر ما هنالك : ادب ، فن ، حضارة، ثقافة .. الخ ... ولا انفي ان يكون هناك مفكر سوداني ، او عربي .. الخ .. واذكر انه قد اثير مرة موضوع « الفكر السوداني » في مقال كتبه الاستاذ محيالدين محمد ، قبل سنوات ، في مجلة (الطليعة) القاهرية ، حاول ان يعالج فيه هذا الموضوع ، وقد اثار كثيرا من الجدل ، والامر ليس مربوطا بأمة بعينها .. وأرى قبل الدخول في جدل ـ مع الزملاء ـ ان نعالج القضية على اساس الادب : ان الاقليمية سلاح ذو حدين ، يمكن ان يكون محمودا ، ويمكن ان يكون مذموما.

ان كل الاشياء تستلهم قيمتها مما لديها من ارث ، وقيم ، ومن ذلك تنطلق . وبذلك يمكن ان تعطى وتأخذ ، تلقح ، وتلقح ، وبهذه العملية ، يمكن ان يتم تكامل الاشياء جميعها . هذا التكامل لا يبدأ فجاة ، ولا في فراغ ، انه يبدأ من الحجر الملقى امام بيت ما، من عرصات مكان درس .. الهم شاعر ما بيتا من الشعر ،فلقيتعاطفتهذلك عواطف شتى ، او قلوبا اثارت فيها الشجن . ومن الواضح اننا يمكن ان نضيف مما نملك ، ويمكن ان يكون ما نملك مفيدا قيما ، كما يمكن ان يكون عكس ذلك ولكن لا يتم لهالترقيالا بقدرته علىالاضافة والالهام .. قل العمق .. وكل ذلك نسميه الاصالة .. ونسميه النضج مرات .. القضية هنا هل حزنك افرحك .. الخ يقوى على ان يكون ملهما لغيرك ، ولاي حد ؟ .. ولما كان الامر غير قاصر على العطاء فقط ، يتخطى ذلك الى التلقي .. فاظن من المتفق عليه ، هو اننا في هذه الندوة لا نستطيع بصفة خاصة ان نفي الموضوع ، وبصفةعامة ـ في المجال نفسه ـ لا نستطيع ان ناخذ الا بمقدار ما نستطيع ان نعطي، فالاخذ والعطاء يتمان بمقدار .. اذن فنحن هنا نتامل مع الجانب المتقدم ، مما اطلقت عليه « الاقليمية » . فاين يقع الادب السوداني في هذا المقام ؟.

في تقديري ان الادب ، قد نما فيتربة صالحة ، اعني منذ ان كان هنالك ادب سوداني مكتوب باللغة العربية ، فهو لقاح موروثات حضارية لامة ، في تفاعلها مع موروثات اخرى مع امم متعددة . وقد حمل في داخله خيال الامة السودانية منذ البداية ، وفي جميع الظروف كان هذا الخيال قواما على الادب السوداني ، والذين كانوا يطورون هذا الخيال على مر العصور ، الهموا الطريق الحصيف لحركة الادب السوداني ، ولذلك ظلوا محفوظين في وجدان المتلقي المحلي بقدر ما هو محفوظ في صلب تيار الحركة . ولعل من الواضح للدارس للادب السوداني ، ان يجد هذه الظاهرة واضحة ، واكثر تمييزا من غيرها . كما يجد كثير من الحركات التي تحاول ان تقف ضد هذا التيار ، بقصد ، او دون قصد ، فكان مصيرها افل شيء .. الاهمال . ربما تكون هذه مقدمة مقضبة لقاعدة لا يجب اهمالها .

الظاهرة الاخرى في تقديري ، اننا نملك قدرا كبيرا منرحابة الصدر تجاه التيارات ، التي تهب من جميع انحاء العالم ، ونستطيع الى قدر كبير اخذ الباقي فيها دون ان نقتلع هذه التيارات من جذورنا ، ونستطيع دائما ان ناخذ منها ما ينمي ذلك الخيال الذي ذكرت ، وتلك الرؤى عند اهل البصيرة . فهذه المقدرة لم تنم عبثا، وانما هي نتاج التركون الى شيء اساسي ، خلق تلك الرحابة . فصار ما يأتي به العالم رافدا يثرى الحركة الدائمة .

وعندما وجد شعراء ، وادباء السودان المنابر التي استطاعت ان تفتح المداخل لملك الطاقات ، استطاعوا ان يكونوا مؤثرين على نطاق العالم العربي عموما ـ حركة الشعر الحديث . وهذا اكبر دليل على ان الاقليمية التي يتميز بها الادب السوداني ليست تهمة، بل هي محمدة . ولا يعني ذلك الانغلاق عليها ، بقدر ما يعني تطوير ذلك اكثر ، واكثر . بل يعني ان ينحنى الينا غيرنا ، لا ترفعا منا ، ولكن لان عندنا شيئا يمكن ان يفيد، ويثري .. وليكن غيرنا رحب الصدر مثلنا تجاه هذه الانماط . فمن المحزن ان نعرف عن غيرنا كل شيء ،وان لا يعرفوا عنا شيئا ، وعندما يقع على ايديهم مما عندنا فدر يسير لا يصابون الا بالدهشة .. ما اطول تلك الدهشة التي ظلت تمارسها الصحف العربية تجاه الادب السوداني . هي نفس الدهشة التي بدأت منذ السلطنة الزرقاء ،حتى الان ، وان نفير تكنيك الطباعة ، والوجوه المندهشة !

اما التخلف ، فهذا امر اظن ان اجابتي السابقة قد دحضته، وهو امر اظن انه غير وارد ، ان لم يكن استفزازيا ، غير انه يمكن ان نعالج الموضوع على اساس الادب العالمي عموما ، فهنا يمكن ان نقول هنالك نوع من التخلف . اما مع رصفائه من العالم العربي، والعالم الثالث فيمكننا ان ندخل المنافسة ـ لو كانت المنافسة واردة ـ لدينا كثير من الجياد الاصلية ، والفرسان المجربين ،والذييمتو نحو مروجنا سيجد فيها النبع الرائق ، والشجر العظيم ، والكروان

المرجاني المغنى ، بل سيجد نفسا متفردا لن يجده في اي مكان اخر .. ذلك هو صوتنا الخاص .. لست ذلك العاطفي .. ولذلك رد فعل لامر ما ولكن هي الحقيقة .

ربما تكون هنالك عدم امكانيات ، ذات جوانب متعددة ، ولكن هذا النقص قد عجم عود الادباء عندنا ، فحتى الان لم يصبح الادب عندنا سلعة ، والذين ظلوا قابضين على الشعلة هم اصحاب المواهب حقا .. اقول ذلك وادرك بأن قدرا مما عندنا قد وصل الى اماكن عديدة ، رغما عن عدم الامكانيات هذه .. والذي يريد ان يذلل الصعاب للادب السوداني الحق منذ مبدأه حتى الان ، يمكن ان يخلق انشطة مؤسسة ثقافية ـ قل ـ لقرن من الزمن على اقل تقدير، ولن ينضب له اسلوب ابتكار ان وجد في نفسه ذلك الابتكار ـ بالطبع ليس هذا الامر للسوق ، وانما للثقافة الرفيعة .

وبعد .. انني افر باننا نفكر كثيرا على قدر نطاق حدودنا، ولكننا في نفس الوقت نريد ان نتبادل الخروج من هذه الحلقة ، ولن يتم ذلك الا بمعاملة الند للند .

عذرا ، فالموضوع ذو شجون ، وهو موضوع طويل ، والوقت قصير ، وربما نجد المنقذ في الذي يوقظ ، فليس هنا من مستحيل لو وضع الموضوع في نطاق البحث الكتابي المتأني ، لا الحديث السريع العابر الذي يثور في هذه الندوة التلقائية الاسرة .

● اما رأيي فيما يختص بالسؤال الثاني ، المطروح ، فانيافول: ربما كان الرد عليه في ما قلت من قبل . ولكن يجب ان نشكر للمبادرات التي تقوم بها اي جهة من الجهات ، يمكن ان نقدر المبادرة بالقدر الذي فيها ، وبالهدف الذي وراءها . كما يجب ان يتم ذلك بروح خالية من التفضل ، او الدهشة . كما يمكن ان نتحدث عن المستقبل وفق رؤى النضج ، فحاجتنا في الداخل ان نخلق المنابر التي يمكن ان تحمل الثقافة الرفيعة الى كل عقل في الداخل والخارج ، ومهمة الآخرين ان يستمعوا لذلك . اذ ان الامر اكبر من مجرد نشر قصائد او قصص .

● ميزة الصوت الجديد ، دع الطموح فيّ والمتفائل ان يتحدث، انه يحمل الحلم الكبير في تاسيس خيال الامة لشكل اكثر جذرية .

انه يحاول ان يستوعب الكثير ، ويحلم كثيرا ، وينتج ، ويتوق الى وضع هذا الحلم موضع الحقيقة ، انه صوت طموح .. ميزة الصوت الجديد ، تأتي من طباعه . اننا نتحدث مع بعضنا البعض ، نأخذ، ونعطي ، نساعد بعضنا ، نقرظ بعضنا دون صياح او زيف .. وننقد بعضنا نقدا عنيفا دون حقد . ولو وهبك الله اصدقاء تتشاجر معهم دون حقد ، فانت السعيد السعيد ..اننا نشعر باننا « امم ما » العواطف الدنيا فينا للعمل دونها .. وصرنا نتعامل على اساس ما يمكن ان نعطي ويكون ذا اثر على نطاق الامة والانسانية عموما . ونشعر ان امامنا الكثير من الزمن والمسافة .

امنيتنا ان نجد المقدرة والتوفيق في ان نكون وفيين لتلبية مطامحه وذوقه .

ان التوجه صوب الثقافة الرفيعة النافعة ،هو الهدف الاسمى، وربما لكل من يشتغل بشئون الثقافة ، ولكن الذي يظل حلمه هو هذا الهدف . يمكن ان يتم له التوفيق .. ان هذا الخلق الذي ذكرت قد تخطى طور الحماسة الاولى ، الى الاقتناع الكامل ، واصبحنا نعوّل على الانجاز اكثر من غيره .. ولذلك لا ارى من الامثل التنظير . في هذا الاتجاه ، لان قول ، هو ربما يكون منحازا ، وربما يكون ذا بعد واحد ، فيمكن الحكم الحقيقي مما تقدم .

نحن نود ان يكون صوتنا جديدا ، لا ميكانيكيا ، ولكن قيمة ونضورا ومفهوما ، نشعر تبعا لذلك بتعاطف كبير مع هذا المجال ، ونعرف اماكن الضعف ، واماكن القوة ، ونريد ان نقول شيئا .

أني لا احب ان أقارن بين هذا الصوت ، والاصوات الاخرى ، لاسباب متعددة :

هنالك قاعدة يمكن ان تقلل من جدوى هذه المقارنة . اذ اننا نعتبر انفسنا ورثة لكل ما هو باق في التراث السوداني ، والعالمي عموما ، ولذلك يمكن ان يجد كل ما هو باق الرافد الاصيل للحركة، لو وسطنا فحسب ، وانما وسط انذين سيأتون ، ويمكن ان نكون امتدادا له وارى ان هناك العديد من الملهمين الشعراء حقا والحصيفين الكبار ممن سبقونا ـ اطال الله عمر من لا يزال فيهم حيا ، وعطر ذكرى من مات .

ثانيا ان المقارنة المجردة امر يسقط عند النظرة الحصيفة ، فما دام الهدف واحدا ، نرى ان لا داعي للتطرق الى ما هو اقل او ادنى من ذلك ، لقد فتح عدد كبير من الذين سبقونا لنا مداركنا ،وعافنا كثيرون منهم ايضا . الذين فتحوا لنا المدارك هم في حرز امين عندنا حتى بعد ان نتخطاهم ، بأن نضيف الى ما اضافوا ، اما الباقون فلا اتذكرهم كثيرا .. خارج هذا النطاق يكون الكلام ثرثرة ولغوا . لا طائل منه . لان ساعة ما ينفلت الخيط من ايدي الحركات المتصارعة ، او المختلفة ، سرعان ماتلجأ للتناطح باسم صراع الاجيال .. وهذا خروج عن دائرة الفعل الحق .

بالطبع هنالك اصوات اخرى في العالم العربي، وفي افريقيا، بل على نطاق العالم ، الهمتنا الكثير ، بعضها لا زال يقدم ، ويلهم، ومقامهم نفس المقام . ونحن لا نملك غير ان نتابع ونقرأ ونعيد القراءة نستوعب ، ونستخلص وتعيد الاستخلاص كل يوم .. لا نملك غير ان نبحث وراء الباقي في ضروب الثقافة محليا ، او خارجيا . ولكني ارى ، ان « الظواهر المرضية » في العالم العربي بالذات تعيش طويلا، وتعوق طويلا .. ما اردت قول ذلك الا لانني ارى التدمير الفظيع الذي تقوم به هذه الظواهر اكثر من قبل ، والعمل على اجتثاثها ـ وذلك امر كبير دونه يمكن التعثر الفظيع دون الوصول الى سلم الحضارة الحقة ، أظن انني قد حددت كثيرا من طبيعة هذه الحركة فيما ذكرت من قبل ، ان الوقوف اجدى من مجرد الكلام . كما سبق ان اسلفت .

هنالك حركة جديدة ،وفق معايير جديدة ، تخطت طورها الاولي، لان تكون ،ثرثرة ، تتخطى السلبيات بوعي وتبحث دوما عن منابرها واساليبها ، وتبحث عن الترقي، روادها كثيرون ، بقدر ما للمتلقي قولته . ولا نتمنى للاشياء ان تقفز قفزا بقدر ما نريد لها ان تأخذ مسراها السليم على قدر حجمها لا اكبر .. لا اقل ..

المهم ان كل هذه الاشياء تتم وفق روح كبيرة ، وطموح كبير . وهذه طبيعة لها وسمة ، ومنهج . ولو كنت في مقام الدارس ، يمكن ان اقول الكثير ، فلماذا اريح الدارس من اداء عمله ؟ انني اريد ان اكتب شيئا اكثر مما اتحدث عنه ( * ) .

---

(*) تعليق « الآداب » : نود ان نذكر مرة اخرى ان هذه المجلة قد استطاعت ان تثبت خلال عشرين عاما انها مجلة الادباء العرب في جميع اقطارهم . وهي اذ تؤكد الآن ، تعليقا على هذه الندوة الهامة، استعدادها الكامل لنشر كل نتاج سوداني اصيل ، انما تتابع سيرها في تقديم المواهب والاصوات الجديدة المميزة لاجيال الشباب من ادباء العروبة . والمجلة تعد العدّة لاصدار عدد خاص عن « الادب السوداني الحديث » يسهم في تعريف القراء بذلك المنجم الفنيّ ، كما ان « دار الآداب » ستقدم في منشوراتها القادمة نماذج من النتاج السوداني الاصيل .

« التحرير »